"أهمية الحديث الموضوع ومنهجيته في معالجة القضايا المعاصرة"

د٠ نادية نصر محمد ليلة (*)

المقدمة :

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهديه الله فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعــد:

فإن الاشتغال بالعلم من أجل القربات وأفضل الطاعات، ولا يخفى ما لعلم الحديث من الفضل والشرف، فالسنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، باتفاق أهل العلم قديماً وحديثاً، إلى يوم الدين.

وكما تكفل الله سبحانه وتعالي بحفظ الكتاب، هيأ للسنة من يدافع عنها على مر العصور، ويذب عنها كيد الخصوم، فكان ما يميز أئمة العلم في الإسلام، ولا سيما أئمة الحديث وجامعوه –من صدور الصحابة والتابعين–، كثرة الارتحال وملازمة الأسفار؛ طلباً لأحاديث رسول الله ﷺ، وحفظه، وقد نهجوا في ذلك نهج الصحابة رضوان الله عليهم، الذين ضربوا أروع الأمثلة في طلب السنة وحفظها، وعلى هذا النهج سار التابعون، وأتباع التابعين، ومن جاء بعدهم من أئمة العلم والدين، فكانوا يرحلون مئات الأميال، ويركبون الصعاب طلباً للحديث، للعمل به ولتبليغة وخدمة للدين، وما زالت الجهود المبذولة في خدمة السنة متوالية ومتتابعة، وامتداداً لهذه الجهود وأملاً في شفاعة المصطفي،

(*) أستاذ مساعد الحديث وعلومه بكلية العلوم الإدارية والإنسانية جامعة الجوف – المملكة العربية السعودية.

صلوات ربي وسلامه عليه، وزيادة في محبته، فقد قمت بعمل هذا البحث وهو تطبيق عملي للون من ألوان الحديث الشريف وهو الحديث الموضوعي فلا يخفى على أحدٍ منا هذه المستجدات التي تمر بها أمتنا، من معطيات التقدم الفكري والحضاري، وفي المقابل ما تعانِيه من أزماتٍ متلاحقة، وما تواجهه من فتن متعاقبة، وما تكابده من أعداء متربِّصين، يمكرون لها ليل نهار، لا سبيل إلى العصمة منها إلا بالرجوع إلى سنة نبينا محمد صلي الله عليه وسلم والتي تبرز أهميتها في إصلاح واقع الحياة، فهي السبيل لحل مشاكل العصر ومعطيات الحضارة، وهي السبيل لبيان مدى حاجة الإنسان إلى هذا الدّين وحل مشكلاته المستجدة، فضلاً عن تحقيق هذا اللون من إثراء المعلومات حول قضية معينة وتأصيلٍ للدراسات والمناهج في كل مناحي الحياة، وإحداث أبحاث حديثية متخصصة تظهر لنا جوانب جديدة من وجوه الإعجاز، وحقائق علمية في الكون والحياة والعلوم والمعارف المستجدة ممَّا يسهل الاطلاع عليها ويسهم في إيصال الباحثين نحو الهدف دون تعب أو مشقة .

لذا صار من أهمِّ المطالب الضرورية للباحثين اليوم في الحديث: دراسة الحديث الموضوعي والاعتناء به وفهم منهجه بكلّ دقة؛ لما يتسم به من منهج فريد ومسلك علمي في اختيار الألفاظ، وثراء المعاني وروعة الطرق في جمع الأحاديث وتتبعها وتنزيلها على الواقع واستخلاص الهدف منها ، مع مراعاة مقاصد الحديث وأصول السنة وقواعدها؛ لأن هناك من يهتم بظاهر النصوص ويترك ما صح من السنَّة النبوية فضلاً عن التخبط في قضية الاستنباط والمناقشات..... وانطلاقاً من هذا الشعور يجيء عنوان هذا البحث: **(أهمية الحديث الموضوعي ومنهجيته في معالجة القضايا المستجدة)** .

وفي ضوء ما تقدَّم يتكون البحث في أصله من مقدِّمة، وثلاثة مطالب :

المطلب الأول: ويتضمَّن التعريف بالحديث الموضوعي بشكل مقتضب يُحدّد حقيقة مصطلح الحديث الموضوعي والتطرّق إلى نشأته وأنواعه، مع ذكر مميزاته وفوائده.

وعقدت المطلب الثاني: للتعرّف على أهمية الحديث الموضوعي في حياة الأمَّة .

وأمَّا المطلب الثالث: فقد احتوى على منهجية الحديث الموضوعي في معالجة القضايا المستجدة، مع ذكر بعض النَّماذج التي تعضد ما تطرّقتُ إليه، معتمداً في ذلك – بعد الله تعالى– على المصادر والمراجع العلمية والمتخصّصة في معرفة المادة وتوثيقها. ومن ثمَّ أتبعتُ ذلك بخاتمةٍ ذكرتُ فيها ملخَّصَ ما توصَّلتُ إليها من نتائج .

وفي الختام فإنَّ هذا البحث يهدف في كلِّ وقفةٍ من وقفاته إلى تشجيع الباحثين للبحث الموضوعي بجميع ألوانه في الحديث النبوي، والتعرُّف على أهميته وأثره في مجالات الحياة، والموضوعات المستجدة والمشكلات المعاصرة وحلولها .

كما يهدف هذا البحث إلى مزيد من خدمة الإنسان والمجتمع وفق منهج الله تعالى ليتحقق بذلك استخلاف الإنسان وسعادته .

وأسأل الله أن يوفقني بهذا البحث وينفعني به في الدنيا والآخرة وأن يجعله في ميزان حسناتي. **آميـــــن**

المطلب الأول

التعريف بالحديث الموضوعي

الحديث الموضوعي هو منهج سلكه العلماء قديماً وحديثاً ، ويحسن لي قبل البدء في الحديث عن أهميته أن أمهد بشيء من الإيجاز عن التعريف به، ونشأته، وأقسامه، ومميزاته وفوائده ومنهجيته من خلال المحاور الآتية:

أولاً: تعريف الحديث الموضوعي: [1] الحديث الموضوعي اصطلاح مستحدث شاع استخدامه عند العلماء والباحثين، وصار عنواناً لعلم جديد من علوم السنة النبوية الشريفة، ويتألف مصطلح الحديث الموضوعي من جزأين ركبا تركيباً وصفياً، وللوقوف على تعريف هذا المصطلح المركب لا بد من تعريف جزأيه، ثم يُجمع بينهما ليُعطي تعريفاً أقرب ما يكون لهذا المصطلح كعلم، وهو مكون من كلمتين الكلمة الأولى " الحديث"، تشير معاجم اللغة[2] إلى عدة معان لكلمة "حديث" ، فهي صفة مشبهة مشتقة من الفعل حدَث، والجمع "أحاديث" وهو جمع تكسير على غير القياس، ومن هذه المعاني:

- الحديث بمعنى الجديد من الأشياء ضد القديم.
- والحديث هو كل كلام يصدر عن أي إنسان متكلم، تم نقله بواسطة الصوت أو الكتابة – ويطلق على الخبر حديثاً.

---

(١) انظر: الحديث الموضوعي للدكتور رمضان الزيان، ص ٢١٤، مجلة الجامعة الإسلامية – غزة– فلسطين– المجلد العاشر، العدد الثاني، لسنة ٢٠٠٢، شبكة الإنترنت الدولية .

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، طبعة دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ج١، ص٧٩٧، وأساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق: أ. عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، ص٧٥، ومختار الصحاح، الرازي، ترتيب محمود خاطر، دار الحديث، القاهرة، بدون تاريخ، ص١٢٥.

وعليه يكون حديث النبي ﷺ هو القول الذي تكلم به، ونقل إلى الناس بطريق ما، وهو جديد بالنسبة للمشركين آنذاك من حيث معناه ومدلوله وما يدعو إليه، وكذلك هو ما صدر عن النبي ﷺ من أخبار(١).

وأما عن معاني كلمة "حديث" في الاستخدام القرآني، فيقول صاحب كتاب المفردات في غريب القرآن: "هي كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع نزول الوحي في يقظته أو منامه، يقال له حديث".

وتعريف الحديث في الاصطلاح هو: "ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، خَلقية كانت أو خُلقية أو سيرة، سواء كانت قبل البعثة أم بعدها"(٢) .

وبهذا المعنى يصبح الحديث مرادفاً لمعنى السنة الاصطلاحي لدى علماء الحديث.

وقيل هو أعم من أن يكون مضافاً إلى النبي ﷺ فقط، بل يطلق أيضاً على ما أضيف إلى الصحابي والتابعي؛ حيث تعميم المصطلح ليشمل كل كلام نقل إلينا عن النبي ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين، والتابعين إليهم بإحسان، بل يدخل فيه، أيضاً، قول أئمة الإسلام وعلمائه العظام، كما يشمل المصطلح نقل أقوالهم جميعاً وما نُقل من كلام عن وصف أفعالهم وتقريراتهم ووصفهم. هذا كله يبقي مصطلح "السنة خاصة بالنبي ﷺ ويجعل كلمة "الحديث" عامة للنبي ﷺ ولغيرة(٣).

---

(١) كشاف المبين منهاج المحدثين، د.أحمد يوسف أبو حلبية، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع، غزة، ١٩٩٦م، ص١٣.

(٢) قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث، للقاسمي، طبعة البابي الحلبي، ١٣٨٠هـ ، فقرة ٣٥ – ٣٨، وتوجيه النظر إلى علوم الأثر، لطاهر الجزائري، الطبعة المصرية، ١٣٢٨هـ، ص٢.

(٣) راجع الحديث الموضوعي للدكتور رمضان الزيان، ص ٢١٤، مجلة الجامعة الإسلامية – غزة– فلسطين– المجلد العاشر، العدد الثاني لسنة ٢٠٠٢، شبكة الإنترنت الدولية .

وقال الحافظ ابن حجر: المراد بالحديث – في عُرْف الشرع –: ما يُضافُ إلى النبيِّ – ﷺ – وكأنه أُريدَ به مقابَلة القرآن؛ لأنه قديم[1].

ولكن الحافظ قال في "شرْح النُّخبة":

الخبَر عند علماء الفن مرادِف للحديث، وقيل: الحديث: ما جاء عن النبي – ﷺ – والخبر: ما جاء عن غيره، ومن ثَمّة قيل لمن يشتغِل بالتواريخ وما شاكَلها: الإخباري، ولمن يشتغِل بالسنة النبوية: المُحدِّث[2].

الكلمة الثانية " الموضوعي":

– والموضوعي لغة أصله من الوضع وهو أعم من الحط، ومنه: الموضع، قال تعالي: "ويحرفون الكلم عن مواضعه"[3]، ويقال ذلك في الحمل وضعت الحمل فهو موضوع، قال تعالى: "وأكواب موضوعة"[4]، "والأرض وضعها للأنام"[5]، فهذا الوضع عبارة عن الإيجاد والخلق ووضعت المرأة الحمل وضعاً قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ"[6] [7].

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري" ، ١/ ٢٦١، للحافظ ابن حجر العسقلاني، (٨٥٢ هـ)، طبعة مُصحّحة على عدة نُسخ، وعن النسخة التي حقّق أصولها وأجازَها: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(٢) "نزهة النظر في توضيح نُخْبة الفِكَر في مصطلَح أهل الأثر"، ص ٣٥، للحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحقيق وتعليق : د. عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، ط١: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٣) سورة النساء : ٤٦.

(٤) سورة الغاشية : ١٤.

(٥) سورة الرحمن: الآية ١٠.

(٦) سورة ال عمران: الآية٣٦.

(٧) مفردات ألفاظ القرآن: ٢ /٥٢٠.

إذن هو جعل الشيء في مكان ما وتثبيته، سواء أكان ذلك الوضع بمعنى: الحط أو الإلقاء، تقول: وضع يضع وضعا وضعة، ومنه الموضع[١].

وتشير معاجم اللغة[٢]إلى أنها مأخوذة من الوضع، وهي مادة تدل على مطلق جعل الشيء في مكان، وتستخدم في عدة معانٍ منها :

- الحط والخفض.
- أو الإلقاء والتثبيت في المكان.

واصطلاحاً: هو عبارة عن المبحوث بالعلم عن أعراضه الذاتية"[٣].

وقد استخدم علماء الحديث قديماً لفظة "موضوع" في معناها الشائع اليوم تقريباً؛ حيث قال الإمام أحمد معقباً على رواية من حديث أبي رافع في كتم إسلام العباس رضي الله عنه: "ومن هذا الموضوع في كتاب يعقوب مرسل ليس فيه إسناد"[٤] .

وفي اصطلاح طوائف العلماء حسب تخصصاتهم نجد أن لها معانٍ شتى منها:

- استخدام مصطلح "حديث موضوع" عند أهل الحديث يعني الكلام المختلق المصنوع[٥]، وهو المكذوب على رسول الله ﷺ عمداً أو سهواً، وهو باطل لا أصل له.

---

(١) البحر المحيط: ٢ /٤٥٠ بتصرف يسير.

(٢) أساس البلاغة، الزمخشري، ص ٥٠٢، ومختار الصحاح، الرازي، ص ٧٢٦ .

(٣) "معجم الكليات" لأبي البقاء الكفوي، ص ٨٦٨.

(٤) انظر: الإمام أحمد في مسنده، مسند أبي رافع، ح (٢٣٣٥٢) ترقيم طبعة إحياء التراث.

(٥) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، الإمام أبي عمرو الشهروزي المعروف بابن الصلاح، مكتبة المتنبي، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٤٧، وتدريب الراوي شرح تقريب النواوي، للإمام جلال الدين السيوطي، ، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، مصر، ط٢ ،١٣٨٥هـ – ١٩٦٦م ، ج١ ص٢٧٤.

- وعند أهل التفسير[١] تعني القضية التي تعددت أساليبها وأماكنها في القرآن الكريم، ولها جهة واحدة تجمعها، عن طريق المعنى الواحد، أو الغاية الواحدة[٢].

- **تعريف الحديث الموضوعي:** قد وضع عددٌ من العلماء المعاصرين المشتغِلين بعلم الحديث تعريفاتٍ مختلفةً له.

فهو: "جمْع الأحاديث المتعلِّقة بموضوع واحد، مع محاولة تصنيفها تصنيفاً جزئيًا، مع التركيز على التأليف بين المتعارِضات إن وجدت، تارة بالجمع، وتارة بالنَّسخ، وتارة بالترجيح، وتارة بالتوقف"[٣].

وقد أورد الدكتور فالح الصغير تعريفاً له فقال: "ويمكن أن يقال في تعريفه بأنه: جمع الأحاديث الواردة في موضوع واحد من موضوعات العلم وتخريجها ودراستها إسناداً وموضوعاً، أو هو علم يبحث في موضوع من موضوعات السنة النبوية جمعاً لمتونه ودراسة لها"[٤].

وقيل هو مصطلح جديد، عبارة عن جمع الأحاديث المتعلقة بالموضوع الواحد في مكانٍ واحدٍ من مصادر الحديث، مع التعليق الخفيف لشرح الكلمات الغامضة، وبيان الفوائد الحديثية، وما يرشد إليه الحديث[٥].

---

(١) راجع الحديث الموضوعي للدكتور رمضان الزيان، ص ٢١٤، مجلة الجامعة الإسلامية – غزة– فلسطين– المجلد العاشر، العدد الثاني لسنة ٢٠٠٢، شبكة الإنترنت الدولية ..

(٢) انظر: المدخل في التفسير الموضوعي، د. عبد الستار فتح الله سعيد، ص٢٠.

(٣) "محاضَرات في الحديث الموضوعي للشيخ أ.د. السيد نوح.

(٤) أ.د. فالح بن محمد بن فالح الصغير المشرف العام على موقع شبكة السنة وعلومها، موقع شبكة السنة النبوية وعلومها، الشبكة الإلكترونية .

(٥) انظر: كتاب الحديث الموضوعي منهج يدرس لمرحلة الماجستير في جامعة المدينة العالمية، المؤلف مناهج جامعة المدينة العالمية، ج١/٩.

وقال الدكتور رمضان الزيان يمكن تعريف الحديث الموضوعي بأحد التعريفات الآتية[1]:

١- "هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد النبوية من خلال موضوع حديث نبوي شريف مقبول أو أكثر".

٢- "هو جمع الروايات الحديثية المتفرقة في مصادر السنّة الأصلية المتعلقة بموضوع واحد لفظاً أو حكماً، وشرحها حسب المقاصد النبوية الشريفة".

٣- "هو بيان موضوع ما في ضوء السّنة النبوية من خلال مصدر حديثي أو عدة مصادر".

٤- "هو بيان ما يتعلق بموضوع من موضوعات الحياة الفكرية أو الاجتماعية أو الكونية من زاوية حديثية للخروج بنظرية نبوية بصدده".

٥- "هو قضية أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت له الأحاديث النبوية الشريفة".

٦- "هو علم مختص بالأحاديث ذات الموضوع المشترك".

والتعريف الجامع يتمثل في تعريفه الوصفي التالي:

"هو علم يبحث في الموضوعات التي تناولتها السنة النبوية الشريفة، والمتحدة معنى أو غاية، من خلال جمع أحاديث الموضوع من مصدر حديثي أصلي، أو عدة مصادر، أو في ضوء السنة النبوية، بحيث يقوم الباحث بتحليل النصوص الحديثية المقبولة ومقارنتها ونقدها، ثم محاولة ربطها للوصول إلى روح النص النبوي من أجل تطبيقه في الواقع المعاصر".

---

(١) الحديث الموضوعي للدكتور رمضان الزيان، ص ٢١٤، مجلة الجامعة الإسلامية – غزة– فلسطين– المجلد العاشر، العدد الثاني لسنة ٢٠٠٢، شبكة الإنترنت الدولية .

وفي ضوء هذه المحاولة للتعريف بالدراسات التي يصدق عليها في عصرنا الحاضر مسمى الدراسة الموضوعية لا بد من التنبيه على عدة مفاهيم وقواعد وخصائص(١).

من أهمها ما يأتي:

- أن هذا العلم علم اجتهادي يحتاج لتحديد مناهج معينة للسير عليها تكون خاصة به وتميزه عن غيره من فروع علم الحديث الشريف.
- يبحث هذا العلم في الموضوعات التي تناولتها السنّة النبوية الشريفة فقط دون غيرها، فيخرج من نطاق الدراسة الموضوعية أي موضوعات لم يتم تناولها في الأحاديث الشريفة.
- يمكن للدراسة الموضوعية أن تبحث في موضوع حديث واحد عن طريق جمع طرقه ومقارنة ألفاظه وتحليل نصه؛ حيث تبدأ الدراسة بموضوع الحديث، وتنتهي بربط موضوع الحديث في الواقع الحاضر لتحقيق هدف الدراسة الموضوعية.
- يمكن حصر الدراسة الموضوعية في عدة مصادر محددة من مصادر السّنة الأصلية، "مع أن الأصل فيها الاستقصاء" إذا كان موضوع الدراسة يمكن بحثه والوصول إلى النتائج المرجوة منه من عدد معين من الأحاديث، أو على سبيل التدريب لطلاب الدراسات العليا مثلاً.
- الأصل في الدراسات الموضوعية الاعتماد على الأحاديث المقبولة الصحيح منها والحسن، ولا يقبل الضعيف الذي لا يحتج به.
- تخاطب هذه الدراسات أناساً في زمن معين، وعليه يجب مخاطبة الناس على قدر عقولهم من حيث الفكرة والأسلوب، بل الطريقة التي تجعلهم يطبقون السنة في عصرهم في أقرب ما يكون من الفهم النبوي الشريف.

---

(١) راجع الحديث الموضوعي للدكتور رمضان الزيان، ص ٢١٤، مجلة الجامعة الإسلامية – غزة– فلسطين– المجلد العاشر، العدد الثاني لسنة ٢٠٠٢، شبكة الإنترنت الدولية .

الفرق بينه وبين الحديث التحليلي: يكمن الفرق بينهما في أمر جوهري، وهو أن الحديث التحليلي ينطلق من الحديث الواحد لتحليله من جميع جوانبه اللغوية والاستنباطية وغيرهما، غير مرتبط بموضوع معين، ولا بأحاديث أخرى.

أما الموضوعي: فهو ينظر إلى الموضوع الواحد ومجموع الأحاديث الدالة عليه دون تحليل كل حديث فيما يدل عليه من مسائل، ولا شك أنهما يشتركان في مسائل وخطوات، وفي المراجع اللغوية أو شروح أحاديث، وفي التخريج والحكم، ويفترقان في أصل الطريقة والعناصر التي تحتوي عليها الدراسة[1].

نشأة الحديث الموضوعي كدراسة :

بدأت ظهور الدراسات الموضوعية بشكلها الحالي – حيث جمع النصوص الحديثية المقبولة وتحليلها ونقدها وربطها بواقع المسلمين– في عصرنا الحاضر إلا أن هذه الدراسات لا تنفصل عن جذورها الأولى من أول عصر التدوين للسّنة النبوية وحتى عصرنا الحاضر؛ لأنها نتاج تطور في الدراسات الحديثية لتلبي حاجات المسلمين في كل عصر.

قال د. الزيان إن هذه النشأة للدراسات الموضوعية لا بد أن ترتبط بالنشأة الأولى للمصنفات في الحديث الشريف، فأول من اهتم بجمع السّنة النبوية كان الإمام محمد بن شهاب الزهري[2]، الذي جمع الأحاديث بطريقة الملازم، بحيث جعل لكل موضوع من موضوعات الدين ملزمة يجتمع فيها أحاديث النبي صلى

---

(١) أ.د. فالح بن محمد بن فالح الصغير المشرف العام على موقع شبكة السنة وعلومها ، موقع شبكة السنة النبوية وعلومها، الشبكة الإلكترونية .

(٢) الذي عاش حياة طويلة امتدت من ٥٠ هـ وحتى ١٧٤ هـ. نقلا عن د. الزيان الحديث الموضوعي، ص ٢١٤ مجلة الجامعة الإسلامية – غزة– فلسطين– المجلد العاشر، العدد الثاني لسنة ٢٠٠٢، شبكة الإنترنت الدولية ..

الله عليه وسلم مع أقوال الصحابة وفتاوى التابعين[١]، مع ملاحظة أن مجرد الجمع للأحاديث في صحف خاصة قد سبق الزهري فيه جماعة من الصحابة مثل : عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما[٢]، والتابعين مثل: عروة بن الزبير بن العوام رضي الله عنهما[٣]، ثم توالت بعده الجهود المباركة لسلفنا الصالح في جمع الأحاديث تحت منهجين كبيرين كان أحدهما منهج الكتب والأبواب الفقهية الذي يعتمد على تصنيف الأحاديث حسب موضوعاتها في كتب فقهية تتفرع عن كل موضوع تحت مسمى كتاب أفرع تسمى أبواباً، والمنهج الثاني هو منهج المسانيد والذي لا يهتم بموضوع الحديث، بل يصب جهده في تصنيف الأحاديث حسب راويها من الصحابة[٤].

---

(١) انظر: السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر العربي، بيروت، ط٥ ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ص ٣٣٠.

(٢) الدليل على ذلك ترخيص النبي ﷺ له بالكتابة بقوله عليه الصلاة والسلام له : "اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا الحق" (رواه الدارمي في سننه، المقدمة، باب من رخص في كتابة العلم، ج١ ص ١٢٥ ، طبعة دار إحياء السنّة النبوية، بعناية: محمد أحمد دهمان، بدون تاريخ)، وشهادة أبي هريرة له بالكتابة مع أن أبا هريرة نفسه كان لا يكتب (نقلا عن د. الزيان نفس المرجع السابق).

(٣) والدليل على ذلك قول عائشة رضى الله عنها لابن أختها عروة بن الزبير رضي الله عنهما : "يا بني، بلغني أنك تكتب عنّي الحديث، ثم تعود فتكتبه، فقال لها : أسمعه منك، ثم أعود أسمعه على غيره، فقالت: هل تسمع في المعنى اختلافاً ؟ قال : لا قالت: لا بأس بذلك(انظر: الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، طبع بالهند، ١٣٥٧هـ، ص ٢٠٥ ، منقول عن د. الزيان نفس المرجع السابق.

(٤) انظر: بحث الحديث الموضوعي للدكتور رمضان الزيان، ص ٢١٤، مجلة الجامعة الإسلامية – غزة– فلسطين– المجلد العاشر، العدد الثاني لسنة ٢٠٠٢، شبكة الإنترنت الدولية .

وقال الدكتور فالح الصغير إن التأليف والتصنيف في الحديث الموضوعي ظهرت بوادره زمن الصحابة رضوان الله عليهم وقد مر بعده بعدة مراحل إلى أن أخذ شكلاً استقلالياً حيث ألفت كتب وأجزاء(١).

واستمرت هذه الجهود جيلاً بعد جيل وعصرا بعد عصر وكلما توالت العصور كانت الحاجة إلى بروز هذا اللون من الحديث أكثر، حتى جاء العصر الحاضر بما فيه من مستجدات وتطورات ومآس ونكبات، وقد كثرت البحوث والدراسات الحديثية حول قضايا معاصرة فرضتها حاجة الناس في هذا العصر

ولعلنا نقسم نشأة الحديث الموضوعي – على مرحلتين:

المرحلة الأولى: الحديث الموضوعي زمن الصحابة حتى عصر التدوين.

المرحلة الثانية: الحديث الموضوعي في عصر التدوين وما بعده إلى الوقت المعاصر.

المرحلة الأولى: التصنيف الموضوعي زمن الصحابة حتى عصر التدوين:

ظهرت بوادر التأليف في الحديث الموضوعي في زمن الصحابة رضوان الله عليهم؛ حيث جمع جابر رضي الله عنه منسك في الحج، قال الحافظ الذهبي: (وله منسك صغير في الحج) أخرجه مسلم.

وقد وجد في هذا القرن من التابعين من كتب في موضوعات شتى؛ حيث جمع عدة أحاديث في باب واحد، منهم: عامر بن شراحيل الهمداني الشعبي (١٩-١٠٣هـ): وهو من أوائل من كتب في الموضوعات، قال ابن حجر: بعد قوله: أول مصنف في الصحيح المجرد صحيح البخاري (....وهذا بالنسبة إلى الجمع بالأبواب، أما جمع حديث إلى مثله في باب واحد فقد سبق إليه الشعبي فإنه روي عنه أنه قال: هذا باب من الطلاق جسيم وساق فيه أحاديث).

---

(١) أ.د. فالح بن محمد بن فالح الصغير المشرف العام على موقع شبكة السنة وعلومها، موقع شبكة السنة النبوية وعلومها، الشبكة الإلكترونية.

بيد أن ما كتبه الشعبي: يتعلق بالأمور القضائية؛ ربما لأنه كان قاضياً لذلك اضطر لتأليف تلك الكتب لاحتياجه إليها، ومنها:

كتاب الجراحات، وكتاب الفرائض.

فعن أبي الحصين قال: لم يوجد للشعبي كتاب بعد موته إلا الفرائض والجراحات.

وكذلك كتاب المغازي، فعن عبد الملك بن عمير قال: مر ابن عمر بالشعبي، وهو يقرأ المغازي، قال: كأنه شاهد معنا.

وكذلك أبان بن عثمان (٢٠-١٠٥هـ) ممن صنف في الحديث الموضوعي فله كتاب في المغازي، روى يحي بن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه أنه لم يكن عنده خط مكتوب من الحديث إلا مغازي رسول الله ﷺ أخذها من أبان بن عثمان فكان كثيراً ما تقرأ عليه وأمرنا بتعلمها.

وكذلك موسى بن عقبة القرشي (٦٠-١٤١هـ): أدرك ابن عمر رضي الله عنه، وله كتاب في المغازي.

فعن معن بن عيسى قال: كان مالك بن أنس إذا قيل له مغازي من نكتب؟ قال: عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة.

ويمكن استخلاص أهم ميزة لهذا العصر فيما يتصل بالحديث الموضوعي، وهي جمع أحاديث موضوع واحد، فكان ذلك نواة التأليف في الحديث الموضوعي.

المرحلة الثانية: التصنيف الموضوعي في القرن الثاني وما بعده:

كان التأليف الموضوعي في العصر امتداداً للعصر السابق.

وممن صنف فيه في هذا بداية هذا العصر عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (٨٠-١٥٠هـ): وكان من أول من صنف الكتب، قال عبد الله بن أحمد

بن حنبل قلت لأبي: من أول من صنف الكتب، قال: ابن جريج وابن أبي عروبة.

وقد جمع ابن جريج بين صورتين من صور التصنيف الموضوعي في مؤلفاته؛ حيث ألف كتاب السنن وهو يحتوي على مثل ما يحتوي عليه كتب السنن مثل الطهارة والصيام، وله كذلك كتاب الحج أو المناسك وكتاب التفسير.

وله كتاب في المغازي، قال معمر بن عثمان الجزري: كتبت عنه صحيفتين في المغازي، فاستعارهما مني رجل فذهب بهما ولم أعد قبلهما كتاباً.

وله كذلك كتاب الجامع، وهو مرتب على الأبواب الفقهية.

وكذلك سعيد بن أبي عروبة (٨٠-١٥٥هـ): وهو من أول من صنف الكتب وقد جمع في الصلاة والطلاق ومناسك الحج.

قال أبو خلدة قلت لأبي العالية: أعطني بعض كتبك فقال: ما كتبت شيئاً ولو كنت كتبت شيئاً لأعطيتك وأكرمتك، وأني كتبت ثلاثة أشياء: تحية الصلاة، وأبواب الطلاق، ومناسك الحج.

زائدة بن قدامة (١٦١هـ) له كتاب في الزهد والتفسير والقراءات، قال عنه الذهبي: وقد كان صنف حديثه وألف في القراءات وفي التفسير والزهد.

وكان لابن المبارك (١١٨-١٨١هـ) كتاب الجهاد وكتاب الزهد، ولأبي يوسف صاحب أبي حنيفة (١١٣-١٨٢هـ) كتاب الخراج وكتاب الذكر والدعاء، وغيرها من المصنفات في هذا العصر، ثم قائلاً: هذا التصنيف من الصحاح كصحيح الإمام مسلم: (٢٥٦) فقد جمع أحاديث كل موضوع بمروياته، ومثله السنن الأربعة.

وما تلا المائة الثالثة من تفريع للتصنيف حتى صنفت في أبواب معينة كالزهد والترغيب والترهيب وغيرها، وهكذا نجد أن التصنيف الموضوعي للأحاديث في المرحلة الثانية من مراحل نشأته بدأ يأخذ الشكل الاستقلالي.

وهكذا نجد أن التصنيف الموضوعي موجود منذ زمن الصحابة وما بعده من القرون إلا أنه لم يكن شائعاً بهذا الاصطلاح، وإنما كان يدخل ضمن عموم تدوين السنة النبوية، ومجدّ في المتأخرين هو معرفة هذا النوع بهذا الاصطلاح (التصنيف الموضوعي).

وقد تمثل التصنيف الموضوعي في عدة صور في المراحل كلها تظهر فيما يلي:

١- جمع الأحاديث في باب ضمن كتاب واحد ثم تدوينه، مثل ما سبق من الصحاح وأبرزها صحيح الإمام مسلم، وكذلك السنة بعامة.

٢- جمع أحاديث في أبواب متشابهة في مصنف واحد، مثل ما سبق في كتب الترغيب والترهيب، ورياض الصالحين وغيرها.

٣- جمع الأحاديث في الموضوع الواحد في جزء واحد كبير أو صغير، مثل ما سبق في جزء رفع اليدين للإمام البخاري، وجزء في الدعاء لعبد الغني المقدسي الحنبلي، وكذا جزء في الأمر بالمعروف له وغيرهما.

٤- شرح كتاب من الكتب السابقة التي نهجت المنهج الموضوعي، مثل: كتب الشروح لما سبق[١].

الحديث الموضوعي في الدراسات المعاصرة:

لقد برز الحديث الموضوعي بصورة أكثر وضوحاً في الدراسات المعاصرة منذ منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وأخذ أشكالاً وأنماطاً متنوعة مقتبسة من الصور السابقة حتى جاءت الأقسام العلمية المتخصصة، مثل أقسام السنة النبوية والحديث وقد وسعوا بعض الصور السابقة، ومن أهم صور الدراسة والتأليف في الحديث الموضوعي المعاصر ما يلي:

---

(١) أ.د. فالح بن محمد بن فالح الصغير المشرف العام على موقع شبكة السنة وعلومها، موقع شبكة السنة النبوية وعلومها، الشبكة الإلكترونية.

١- شرح كتاب من كتب الحديث السابقة التي نهجت منهج الجمع الموضوعي ومن الدراسات التي ظهرت حديثاً: (فتح المنعم بشرح مسلم) د. موسى شاهين لاشين؛ حيث جمع كل الروايات في الباب الواحد، ثم بدأ بشرحها على المعنى الإجمالي، ثم المباحث اللغوية، ثم المسائل المستنبطة من الحديث.

٢- جمع أحاديث في موضوعات كليّة مثل: أحاديث الصبر في قسم السنة بكلية أصول الدين.

٣- جمع أحاديث في موضوعات ودراستها من حيث المتن.

٤- الشرح والاستقصاء للموضوع انطلاقاً من حديث واحد، مثل: حديث بعث معاذ إلى اليمن، رواية ودراية، وحديث رؤية المؤمن، للدكتور عبد الله اللحيدان.

٥- جمع روايات الحديث الواحد، مثل حديث نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها، للشيخ عبد المحسن العباد.

٦- ما استحدث في الحاسب الآلي من برامج مساعدة جمعت الأحاديث ذات الموضوع الواحد، وإن كان هذه وسيلة لكن جعلته صورة مستقلة لأهميته وإحداثه نقلة نوعية في البحث العلمي[١].

وبهذا يظهر لنا – يقيناً أن الحديث الموضوعي وإن تأخرت تسميته بهذا الاسم، فإنّه من علوم السّابقين ومن مبتكراتهم، ولا شك ّ أن المؤلفات في الحديث الموضوعي قد كثرت في العصر الحديث، وأصبحت المكتبة الحديثية تذخر بالمؤلفات فيه فهو ميدان خصب للباحثين .

---

(١) أ.د فالح بن محمد بن فالح الصغير المشرف العام على موقع شبكة السنة وعلومها ، موقع شبكة السنة النبوية وعلومها- الشبكة الإلكترونية.

ثالثاً : الحديث الموضوعي و فروع علوم السنة النبوية

إن الدراسة الموضوعية بمفهومها المعاصر الذي يعتمد على الجمع الموضوعي للنصوص الحديثية ثم دراستها دراسة تحليلية ناقدة مع ربطها بالواقع الحاضر تستخدم شتى فروع علوم السنة النبوية من أجل الوصول إلى أهدافها؛ حيث نجدها تستخدم بالإجمال مجموعة العلوم المتعلقة بقسم علوم الحديث رواية[١]؛ حيث تستمد النصوص الحديثية، وتختار ألفاظها الجامعة لموضوع الدراسة من مصادرها الأصلية والاحتراز من الخطأ في نقل ما أضيف إلى النبي صلي الله عليه وسلم أو تحريفه، كما يستخدم القسم الآخر من علوم الحديث المسمى علوم الحديث دراية[٢] في دراسة أسانيد المرويات المختارة قبل الاستشهاد بها من أجل التعرف على إمكانية الاحتجاج بها من عدمه[٣].

أنواع الحديث الموضوعي ومناهج دراسته: يمكن تقسيم الحديث الموضوعي إلى نوعين:

الأول: الحديث الموضوعي العام:

وهو الذي بين أطراف موضوعه وحدة في الغاية فقط، لا في أصل المعنى.

---

(١) علم الحديث رواية: هو العلم الذي يقوم على نقل ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خُلقية أو خلقية نقلاً دقيقاً محرراً. مباحث في علوم الحديث، الشيخ/ مناع القطان، ص٤٩.

(٢) علم الحديث دراية: هو مجموعة القواعد والمسائل التي يعرف بها حال الراوي من حيث القبول والرد.(المرجع السابق).

(٣)انظر: بحث الحديث الموضوعي للدكتور رمضان الزيان، ص ٢١٤، مجلة الجامعة الإسلامية – غزة– فلسطين– المجلد العاشر، العدد الثاني لسنة ٢٠٠٢، شبكة الإنترنت الدولية .

بمعنى أن هذا الموضوع يكون له أصل في الأحاديث، ولكن تحته قضايا كثيرة مُتعدِّدة، لا يربِط بينها إلا وحدة الغاية، وهي وحدة محقَّقة، حتى وإن كانت بعيدة.

من ذلك مثلاً قضية الأدب، فهي تشمَل الأحاديث التي تتناوَل الأدب النبوي في قضايا متعدِّدة، يَجمَع بينها أنها من جملة الأدب.

الثاني: الحديث الموضوعي الخاص:

وهو الذي يقوم على وَحدة المعنى والغاية بين أطرافه وأفراده، فتكون الرابطة بينهما خاصة وقريبة.

من ذلك كل موضوع خاصّ من الموضوعات التي تناوَلها كتاب "الأدب المفرَد" للإمام البخاري، وكذلك موضوع "آداب النيَّة والإخلاص"، وموضوع "آداب المُجالَسة"، ونحو ذلك.

ومن ذلك كتب الإمام الحافظ أبي بكر بن أبى الدنيا الكثيرة، ككتاب: "الصَّمت"، و"الشكر"، و"التوكل على الله"، و"التواضع والخمول"، وغيرها من كتُبه وكتب غيره من مشاهير العلماء، ومن ذلك موضوع "اليهود في السنة النبويَّة المطهرة"، وموضوع "منهج السنة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم"، ونحو ذلك.

هذا وإن من المهم الانتباه إلى أنّ الحفّاظ – عليهم رحمات الله – أسهموا منذ مُصنَّفاتهم الأولى في تبويب موضوعاتِ صِحاحهم وسُننهم وجوامِعهم تبويبًا موضوعيًّا؛ وأكثرَوا من جمْع الأحاديث التي على شرائط كتُبهم في أبواب واحدة، أو أبواب متتالية مُتقارِبة [1].

كما يمكن تقسيم الحديث الموضوعي إلي ثلاثة أنواع على غرار التفسير الموضوعي، وهي:

---

(١) صفحات في معرفة الحديث الموضوعي، علي محمد زينو، شبكة الإنترنت الدولية .

١- الحديث الموضوعي؛ للموضوعات: وهنا يختار الشارح موضوعاً ثم يجمع الأحاديث التي تناولته بمختلف الألفاظ والسياق – فهو أشمل- وهو المراد عادة عند الإطلاق.

٢- الحديث الموضوعي؛ للمصطلحات: وهنا ينتقي الباحث مصطلحا ويفرده بالدراسة بحيث يتتبع اللفظ في أحاديث الرسول ﷺ، ويحصر حالاته الاشتقاقية وتصريفه، ثم يستخلص الدلالات والمعاني منها.

٣- الحديث الموضوعي؛ للأحاديث: وهنا تتناول الدراسة حديثاً واحداً بالشرح تعالج فيه الواقع وترشد المسلم لتغيير سلوكه الخاطئ [١].

فوائد الحديث الموضوعي: للحديث الموضوعي فوائد عظيمة متعدِّدة لا يستغني باحثٌ في علم الحديث عن معرفتها، ومن أهمها ما يلي:

١- أن جمْع الأحاديث في الموضوع الواحد في مكانٍ واحدٍ يُعين على الفَهْم الصحيح للسُّنة، قبل أن يعمل الإنسان أو يُفتي بمقتضى واحدٍ منها، فيُخطئ.

فقد يَرِدُ الحديث في مكان، وتمامُ الغرض منه في مكان آخر، أو تأتي رواية بحكم، وتمامُ المقصود في رواية أخرى، فلا بد عندئذٍ من جمْع طرق الحديث ورواياته؛ ليَسهُل فَهْمُه ويَصِحّ، وقد يَرِد في الموضوع عدة أحاديث، لا يمكن فَهْم أحدها إلا في ضوء الأحاديث الأخرى، وإلا حصَل الغَلَط وسوء الفَهْم.

٢- أن جمْع أحاديث الموضوع الواحد في مكان واحد يُعين على إزالة ما قد يبدو من تعارُض بين بعض الأحاديث، فيتبيَّن المطلَق من المُقيَّد، والخاص

(١) انظر: بحث الحديث الموضوعى منهج جديد فى شرح الأحاديث النبوية الشريفة، للدكتورة سعاد بيطاط، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – الجزائر، العدد ٢٩، ٢٠١١.

من العام، والناسخ من المنسوخ، ويُنَزَّل كلُّ حديث منزلتَهُ اللائقةَ به، ويُفْهَم المقصود منه على الصواب.

٣- أن جمْع أحاديث الموضوع الواحد في مكان واحد قد تكشِف سببًا لورود الحديث يُساعد على حُسْن الفَهْم، وقد تَبيَّن ارتباط الحكم في بعض الأحاديث بعلَّة مُعيَّنة، وربما كان هذا السبب وهذه العِلَّة مُزيلاً لتعارُضٍ يظهَر بين أحاديث الباب.

٤- أن جمْع أحاديث الموضوع الواحد في مكان واحدٍ يُساعِد على حُسْن الجمع بين ما قد يبدو بين معانيها من تَضادّ وتَناقُض، وعلى ترجيح بعضها على بعض إذا لم يمكن الجمع بحمل أحدهما على الآخر، أو توجيه كل منهما توجيهًا صحيحًا مناسِبًا.

٥- أن جمْع أحاديث الموضوع الواحد، وروايات الحديث المُتعدِّدة في مكان واحد، يُساعِد على كشْف ما قد يكون في بعض الأحاديث أو الطُّرق من عِلل، كالإرسال، أو التدليس، أو الشذوذ، أو الإدراج، أو غير ذلك مما يكون له أعظم الأثر في معرفة درجة الحديث، ومن ثَمَّ الاحتجاج أو عدم الاحتجاج به.

٦- أن جمْع الطرق والنصوص في موضوع واحد قد يؤدِّي إلى تقوية الحديث من خلال معرفة متابعاته وشواهده المتعددة.

٧- أن جمْع الطرق والمتون في مكان واحد يُساعِد في الترجيح عند التعارُض وعدم إمكان الجمع.

٨- أن الدراسة الموضوعيَّة للسنة النبويَّة المطهرة تكشِف لنا عن عَظمة هذه السنة وشمولها وكفايتها مع القرآن الكريم؛ لصُنْع الحياة الفاضِلة في مختلَف المجالات.

فالأحاديث الكثيرة في الموضوع الواحد، والتي قيلت في مناسبات متعدِّدة، وظروفٍ مُتنوِّعة، وأوقات مُتفاوِتة، ولأشخاص مختلفين، إذا ضُمَّ بعضُها إلى بعضٍ، كشَفَت عن شمول رسالة الإسلام، وتمام وفائها بحاجة الموضوع(١).

٩- أن هذا النوع من الدراسات يتَّفِق مع روح العصر الحاضر الذي تتجدَّد فيه حاجات المجتمعات، وتَبرُز فيه أفكار ونظريات جديدة مع التقدم العلمي والتقني؛ حيث تُعطي هذه الدراسات رؤىً وحلولاً صحيحة، وتخرج للناس أحكامًا عامَّة تُغنيهم عن اللجوء إلى القوانين الوضعيَّة.

١٠- أن هذه الدراسات تُساعِد في إبراز جوانِب متعدِّدة من الإعجاز في السُّنة النبوية الصحيحة، والتي تؤكد بوضوح أن السّنة النبوية وحيٌ من عند الله تعالى، وإن كان بالمعنى دون اللفظ؛ لأن مِثلَ هذا الإعجاز لا يتسنَّى لبشرٍ معرفته قبل قرون إلا عن مصدر إلهي.

١١- أن هذه الدراسات تُساعِد في تأصيل العلوم الشرعية الجديدة التي نشأت حديثًا لتلبية حاجات المسلمين العلميَّة في شتى مجالات المعرفة الإنسانية والإعلام الإسلامي، والاقتِصاد الإسلامي، وغيرها.

١٢- يعد الحديث الموضوعي في أهم أغراضه حديثا دعوياً تربوياً اجتماعياً عصريّاً يهدف إلى بيان الحقائق الحديثية في موضوعات معينة واستجلاء المنهج الحديثي في تناولها، وتنزيل ذلك كله على واقع الناس ومنهج الحياة (٢).

---

(١) الحديث الموضوعي دراسة نظرية؛ رمضان إسحاق الــزيّان، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني، ص ٢١٤- ٢١٥.

(٢) استفادت الباحثة في هذا من بحث أهمية التفسير الموضوعي ومنهجيته في معالجة القضايا المستجدة، أ.م.د. أحمد عبد الكريم الشوكة، كلية الآداب/ الجامعة العراقية .

١٣- الرد على أهل الأهواء والشبه قديماً وحديثا لكون دراسة مثل هذا النوع من الحديث يجمع شتات الموضوع الواحد ويُحيط بجميع أطرافه فيمكن دراسته والرد على الآخرين.

١٤- أن هذه الدراسات تُقدِّم الفوائد الجليلة لكلٍ من الدعاة والباحثين، بل أفراد المجتمع المسلم كله، من إحاطة تامة بيسر وسهولة بكل ما يتعلَّق بموضوع الدراسة في مكان واحد(١).

١٥- جمع الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد في مكان واحد، وهذا يفيد من يكتب في موضوع ما فائدة كبيرة؛ حيث يجد كل ما يحتاجه مجموعًا بعضه إلى بعض في مكان واحد فيتيسر عليه الأمر.

١٦- معرفة طرق الحديث ومعلوم أن طرق الحديث، كلما زادت أعطت فوائد كثيرة منها تقوية الحديث بتعدد الطرق.

١٧- جمع الأحاديث كلها أو أغلبها في مكان واحد يسهل على الباحث أن يقف على الحديث الصحيح من غير الصحيح.

١٨- سهولة البحث عن الحديث المعروف موضوعه وعنوانه، يعني عندما يعرف الموضوع الفقهي للحديث؛ يسهل الحصول عليه من هذه الكتب التي ألفت بطريق الحديث الموضوعي(٢).

---

(١) الحديث الموضوعي دراسة نظرية؛ رمضان إسحاق الـزيّان، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني، ص ٢١٤- ٢١٥.

(٢) انظر: كتاب الحديث الموضوعي، منهج يدرس لمرحلة الماجستير في جامعة المدينة العالمية، المؤلف مناهج جامعة المدينة العالمية، ج ١٤/١.

المطلب الثاني

التعرّف على أهمية الحديث الموضوعي في حياة الأمَّة

إن من يدقق النظر، ويعمل بفكره في هذا النوع من الدراسات الحديثية يرى أنها جد نافعة وحميدة لمسايرة أفكار الناس، ومتابعة لاهتمامهم وملاحقة لقضايا العصر، التي أصبح الناس في حيرة من أمرهم وتطلع لرأي الدين فيها ولو قدمت الأبحاث الحديثية بطريقة تناسب في أسلوبها طرائق العصر ومفاهيمه لوجد الناس فيها السكن لخواطرهم والراحة لأفكارهم، التي بلبلها التطور العلمي، وكذلك البعد عن هدي القرآن الكريم والسنة النبوية وعدالة الإسلام.

لذا تتجلى أهمية الحديث الموضوعي في عصرنا أكثر مما تجلت في غيره؛ ذلك أننا نعيش اليوم عصر القضايا المتلاحقة وإفرازات النشاط البشري، الذي أفلست فيه الحضارات المادية في حلّ مشكلات البشر وسد الفراغ الذي تعيشه معظم المجتمعات البشرية.

فالعصر الذي نعيشه يحتاج إلى ذلك النوع من الدراسات الحديثية؛ إذ كان في سلوكها إدراك المقصود من أقرب الطرق والوصول إلى الحقيقة بأسهل الوسائل، خصوصاً أنه في عصرنا يُثار كثير من الغبار في جو الأديان والمذاهب، فتنتشر الاختلافات والنزعات والعصبيات وتخلق في سماء الإنسانية سحب الضلال والشبه، وليس يقوى على ذلك إلا سلاح قوي واضح سهل متصل بسنة النبي صلي الله عليه وسلم يُمكن العلماء من الذود عن السنة النبوية والدفاع عن دعائمها، وليس هذا إلا بذلك النوع من الحديث؛ إذ كان جامعاً لشتات الموضوعات محيطاً بأطرافها[1]، **ومن هنا تتجلى أهمية الحديث الموضوعي في عدة أمور منها:**

---

(١) استفادت الباحثة في هذا من بحث أهمية التفسير الموضوعي ومنهجيته في معالجة القضايا المستجدة، أ.م.د. أحمد عبد الكريم الشوكة، كلية الآداب/ الجامعة العراقية .

أولاً: إبراز السنة النبوية على وجه يلائم العصر؛ وذلك لأن أعداء الإسلام قديماً وحديثاً يختلقون الطعون والشبهات للقدح في السنة النبوية، وكثير ممن تأثر بهم ما زالوا يزينون للناس أن الإسلام الذي نزل منذ ألف وأربعمائة سنة على أعراب يعيشون في البادية وفي الصحاري يرعون الغنم، فكيف يصلح هذا الدين لقوم يعيشون في القرن العشرين، ووصلوا إلى القمر وغزو الفضاء، ولا يمكن أن يُرد عليهم ويُجاب على تساؤلاتهم إلا بطريقة علمية، وذلك بالجمع عن طريق الحديث الموضوعي، الذي يتبين لنا من خلاله كيف رسم النبي صلى الله عليه وسلم جميع ما يتعلق بمنهجية الحياة والسعادة في الدنيا والآخرة، فالسنة كفيلة في بيان الكليات والجزئيات من الدين وكونه صالحاً لكل زمان ومكان(١).

ثانياً: الوفاء بحاجات هذا العصر إلى الدين وإثراء المعلومات؛ حيث إن تجدد حاجة البشرية، وبروز أفكار جديدة، وانفتاح ميادين للنظريات العلمية الحديثة لا يمكن تغطيتها ولا رؤية الحلول لها إلا بالدراسة الموضوعية للقرآن والسنّة؛ إذ عندما نجابه بنظرة جديدة أو علم مستحدث فإننا لا نقدر على تحديد الموقف من هذا العلم وتلك النظرية وحل المشكلة القائمة، وبيان بطلان مذهب إلا عن طريق تتبع نصوص الكتاب والسنة، وبذلك يتمكن الباحث من القيام بدور اجتهادي للتوصل إلى تنظير أصول هذا الموضوع، وعلى ضوء هدايات الكتاب والسنة نستطيع معالجة أي موضوع يجدّ في الساحة العلمية(٢).

ثالثاً: أن الدراسة النموذجية فيه هي الاستقصاء في جمع النصوص المتعلقة بموضوع واحد، وفق منهج يجمع كل متعلقاتها، فيكون هذا الموضوع متكاملاً من حيث جمع رواياته، وبذلك يرد متشابه تلك النصوص إلى محكمها، ويحمل

---

(١) أ.د. فالح بن محمد بن فالح الصغير المشرف العام على موقع شبكة السنة وعلومها، موقع شبكة السنة النبوية وعلومها، الشبكة الإلكترونية .

(٢) نفس المرجع السابق .

مطلقها على مقيدها، ويفسر عامها بخاصها، يقول الإمام أحمد: (إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضاً)[1]، ويتبين أيضا – من خلال الاستقصاء– الصحيح من السقيم من هذه النصوص، وكذلك الشاذ والمنكر، وغير ذلك من العلل التي قد ترد على الأحاديث، وهذا لا يتم إلا من خلال جمع الروايات للحديث أو للأحاديث.

رابعاً: أن الدراسة الموضوعية تحقق مطلباً عظيماً، ألا وهو تكامل فقه الحديث، الذي هو الثمرة من دراسته، فالعبادات الشرعية كالطهارة، والصلاة وغيرها، يجب أن نتعلمها بأركانها وواجباتها وأحكامها وشرائطها، حتى نقيمها على أكمل وجه، ولا يتسنى ذلك إلا بجمع الأحاديث المتعلقة بموضوع واحد، فأحاديث الصلاة مثلاً: متفاوتة فيما تحمله من أحكام، فبعضها فيه صفتها مقتصرة على الأركان والواجبات، وبعضها تذكر شيئاً من السنن وأخرى تبين حكماً يتعلق بالصلاة كالسهو والشك وهكذا.

خامساً: في الدراسات الموضوعية للأحاديث، تبرز لنا مكانة النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه، وما تميّز به من جوامع الكلم، وتتجلى أمامنا هذه الخصيصة والمزية بوضوح، وكذلك عندما نجمع أحاديث في صفاته صلى الله عليه وسلم وخُلقه تتبين لنا هذه الصفات بكل أبعادها وثمارها.

سادساً: دارس الحديث الموضوعي لا يبدأ عمله من النص، بل من واقع الحياة فيركّز نظره على موضوع من موضوعات الحياة العقدية، أو الاجتماعية، أو الفقهية أو غيرها، ويستوعب جميع ما أثير حول هذا الموضوع من إشكالات، ثم يطرح هذا الموضوع بين يدي النصوص الحديثية، فهو يبدأ عمله من الحياة والواقع، ليستنبط منه القضية، ثم ينتهي إلى الشريعة – وذلك من خلال نصوص الكتاب والسنة– في مقام التعرف على حكم هذا الواقع.

---

(١) أخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، ٣١٥/٢.

سابعاً: إثراء المعلومات حول قضية معينة، فوقائع الحياة تتكاثر، وتتجدد باستمرار، وتتولد ميادين جديدة وقضايا ونوازل مستجدة على الساحة وغالباً ما يُطرح موضوع أو قضية أو مشكلة للبحث ويبقى أيٌّ من ذلك محتاجاً إلى إشباع البحث ومزيد الدراسة، ويتم تحقيق ذلك من خلال قواعد شرعية عامة، ورؤى مستفيضة، وتفتيق لشيء من أبعاد القضية المطروحة، فيخلصوا بحكم لهذه القضايا والنوازل.

ثامناً: إن تجدد حاجة البشرية، وبروز أفكار جديدة، وانفتاح ميادين للنظريات العلمية الحديثة لا يمكن تغطيتها ولا رؤية الحلول لها إلا بالدراسة الموضوعية للقرآن والسنّة؛ إذ عندما نجابه بنظرة جديدة أو علم مستحدث فإننا لا نقدر على تحديد الموقف من هذا العلم وتلك النظرية وحل المشكلة القائمة، وبيان بطلان مذهب إلا عن طريق تتبع نصوص الكتاب والسنة، وبذلك يتمكن الباحث من القيام بدور اجتهادي للتوصل إلى تنظير أصول هذا الموضوع، وعلى ضوء هدايات الكتاب والسنة نستطيع معالجة أي موضوع يجدّ في الساحة العلمية.

تاسعاً: هذا النوع من الدراسات يفسح المجال لتأصيل الدراسات أو تصحيح مسارها، فهناك علوم ومعارف ظهرت في العصر الحديث بمسميات جديدة كالتربية وعلم النفس والطب وفروعه ونحو ذلك.

فجمع الأحاديث لمثل هذه الموضوعات يبين مدى ارتباط الدين الإسلامي بهذه المعارف، وأن لها أسساً كثيرة في السنة النبوية، ويفسح المجال للدارسين في شتى هذه التخصصات، فيحاول كل منهم تجلية ما يتعلق باختصاصه من السنة النبوية بصورة أعمق، ويسجل سبق سنة المصطفى صلي الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى (إن هو إلا وحي يوحى) –إلى تلك العلوم والمعارف كـــالطب النبوي والطب النفسي الذي يتجلى واضحاً في تعامله– صلوات ربي وسلامه عليه – مع الناس عامّة.

يقول ابن القيّم: (وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلّب جناحيه في السماء إلاّ ذكر للأمة منه علماً، وعلّمهم كل شيء، وبالجملة فجاءهم بخيري الدنيا والآخرة برمّته، ولم يحوجهم الله إلى أحد سواه) [1]، قلت ومرجع كلام ابن القيم هذا هو حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم كما جاء عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: " لَقَدْ تَرَكْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلا وَهُوَ يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا"، قَالَ ابْنُ مَنِيعٍ: خَالَفَ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِي هَذَا النَّاسَ، وَرَوَاهُ غَيْرُه عَنْ فِطْر، عَنْ مُنْذِرٍ، عَنْ أَبِي ذَر، وَزَعَمُوا أَنَّهُ الصَّوَابُ[2].

عاشراً: إبراز مكانة النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه وما تميز به، فعندما تجمع مجموعة أحاديث في النية مثلاً تتجلى أمامنا هذه الخصيصة واضحة، مثل أن تجمع أحاديث في جوده وكرمه تتبين لنا هذه الصفة بكل أبعادها وثمارها وهكذا[3].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، ٤/٢٨٥-٢٨٦ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ٥/١٥٣-١٦٢. قال في الفتح الرباني، ١/١٥٣: لم أقف عليه في غير الكتاب، وفي سنده أشياخ من التيم لم يسموا. ورواه الطبراني أيضاً. قال الهيثمي في المجمع ٨/٢٦٣-٢٦٤: رجال الطبراني رجال الصحيح، غير محمد بن عبد الله المقري وهو ثقة. وفي إسناد أحمد من لم يسم. ولفظه الذي ساقه الهيثمي: "لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علماً." ثم ذكره ص٢٦٤، بلفظ: "لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في السماء طائر يطير بجناحيه إلا ذكرنا منه علماً". وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٣) انظر أهمية الحديث الموضوعي للدكتور فالح بن محمد بن فالح الصغير المشرف العام على موقع شبكة السنة وعلومها، موقع شبكة السنة النبوية وعلومها- الشبكة الإلكترونية.

أهداف البحث في الحديث الموضوعي:

ويمكن أن نلخص أهداف دراسة الحديث الموضوعي فيما يلي:

١- خدمة السنة النبوية في مجالاتها المتعددة.

٢- جمع أحاديث موضوعات متفرقة بين الكتب لا يمكن جمعها إلا عن هذا الطريق.

٣- استخراج النصوص للعلوم المستجدة والنوازل والمسائل الجديدة والنوازل والمستجدات لتنزيل الأحكام عليها.

٤- بيان تكامل النصوص فيتبين ما ظاهره التعارض، والناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، ويدخل في هذا معرفة الصحيح من السقيم، والمنكر من المعروف، والشاذ من المحفوظ.

٥- تقديم السنة النبوية إلى الناس بأسلوب يناسب كل زمن ومستجداته، وتلبي حاجات الناس الثقافية والعلمية وغيرها، وتعطي صورة واضحة جلية عن ثراء السنة بالعلوم المختلفة التي أبرزت حديثاً بطابع عصري جديد.

٦- الإجابة على شبهات المشككين في السنة النبوية ومكانتها وحجيتها؛ حيث تفند تلك الشبهات وترد من خلال الجمع الموضوعي للحديث في أي مجال من المجالات[١].

* *

(١) انظر: أهمية الحديث الموضوعي للدكتور فالح بن محمد بن فالح الصغير، المشرف العام على موقع شبكة السنة وعلومها، موقع شبكة السنة النبوية وعلومها، الشبكة الإلكترونية .

المطلب الثالث

منهجية الحديث الموضوعي في معالجة القضايا المستجدة

الحديث الموضوعي علم اجتهادي يحتاج لتحديد مناهج خاصة به تميزه عن غيره من فروع علم الحديث الشريف وكذلك للسير عليها أثناء دراسة الموضوع المختار في ضبط العمل وتحديد مساره العلمي على وفق أصول ومعالم ثابتة، ومن أجل الإلمام بأطراف الموضوع والربط بين أجزائه وإظهاره في صورة متكاملة تكشف للقارئ أو الباحث عظمة السنة النبوية وأهدافها السامية، وتقضي على الدراسات المبتورة والدعاوى المضللة من المستشرقين وأتباعهم[١]، هذا وإن من أهم مناهج دراسة الحديث الموضوعي ما يلي: [٢]

أولاً: منهج الدراسة الموضوعيَّة التي تقوم على استقصاء ما في كتُب السنة النبوية من أحاديث عن موضوع الدراسة وربطها بالواقع المعاصر لمعالجة قضايا المجتمع المسلم بطريقة شمولية، مع تبسيط عملية تطبيق السنّة بشكل علمي وبأسلوب معاصر.

فمن خلال استعراض الدراسات الموضوعية التي يعمد أصحابها على جمع كل الأحاديث الواردة في كتب السنّة النبوية أو أغلبها عن موضوع الدراسة يتضح أن هذا المنهج هو الأفضل من بين المناهج؛ حيث استقصاء كل ما يتوفر من مصادر حديثية أصلية عن موضوع الدراسة لأن به يمكن الوصول إلى نتائج أدق لكل أطراف الموضوع في ضوء السنّة النبوية الشريفة للخروج

---

(١) استفادت الباحثة في هذا من بحث أهمية التفسير الموضوعي ومنهجيته في معالجة القضايا المستجدة، أ.م.د. أحمد عبد الكريم الشوكة، كلية الآداب– الجامعة العراقية، مع استبدال كلمة التفسير الموضوعي بكلمة الحديث الموضوعي.

(٢) راجع الحديث الموضوعي دراسة نظرية رمضان إسحاق الـزيّان، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني، ص ٢٢٦– ٢٣٤، باختصار.

بتصور عن تناول السنّة النبوية له، ثم الحديث عنه من خلال هذا التصور المستنبط.

وأهم ما يميز هذه الدراسات أنها تبدأ بعد تحديد فكرة البحث بجمع المادة العلمية الحديثية باستقراء الأحاديث المتعلقة بموضوع الدراسة وتتبعها من مصادر السنّة الأصيلة ليتشكل البحث بعد ذلك من خلال التصور المستنبط من الأحاديث الشريفة المتعلقة بموضوع الدراسة المزمع عملها.

ومن أمثلة هذا المنهج دراسة بعنوان: "أحاديث قراءة سورة الكهف يوم الجمعة ــ جمع ودراسة"[١] ، قام فيها الباحث باستقصاء كل ما ورد من أحاديث في كتب السنّة النبوية تتعلق بفضل قراءة سورة الكهف يوم الجمعة، ثم دراستها دراسة موضوعية وصلت إلى أن قراءة سورة الكهف يوم الجمعة أو ليلتها من السنن الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهي تعطي النور لقارئها طوال جمعته، فيسير على بصيرة من الله تعالى، كما وصلت إلى أن جميع الروايات التي ورد فيها فضائل لقراءة سورة أخرى مثل: آل عمران والرعد، لا ترتقي إلى مستوى الاحتجاج بها.

ثانيًا: منهج الدراسة الموضوعية التي تَعتمِد على جمْع أحاديث في موضوع الدراسة من مصادر مُحدَّدة من كتُب السُّنة للوصول إلى نتائج تسهم في فهم أبعاد موضوعات السنّة النبوية الشريفة، مما يساعد في تطبيقها في واقع حياة المسلمين[٢].

---

(١) انظر: المبحث الرابع، من الفصل الثاني، من كتاب دراسات في الحديث الشريف وعلومه؛ حيث اشتمل على دراسة تطبيقية بعنوان: أحاديث قراءة سورة الكهف، جمع ودراسة، د. رمضان الزيان، ص٣٩٣ ــ ٤٠٥

(٢) راجع الحديث الموضوعي دراسة نظرية، "رمضان إسحاق الــزّيّان، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني، ص ٢٢٦- ٢٣٤، باختصار.

وعن مراحل هذه الدراسات فهي تبدأ بعد تحديد الفكرة بجمع الأحاديث من المصادر الحديثية المحددة، ثم دراسة الأحاديث المجموعة سنداً ومتناً لاختبار الأحاديث المقبولة لتشكل مادة البحث الرئيسية، ثم يقوم الباحث بتنظيم المادة الحديثية للخروج بخطة البحث التي سيتم جمع المادة العلمية المكملة لموضوع الدراسة في ضوئها، ثم ربط الموضوع بالواقع الحاضر للمسلمين، ثم صياغة البحث بشكله النهائي.

ومن أمثلة هذا المنهج دراسة بعنوان: "الطب النفسي في ضوء السنّة النبوية" [1]؛ (حيث جمع فيها الباحث الأحاديث التي تتعلق بالمواقف العلاجية للأمراض النفسية التي وردت في الكتب التسعة، والتي عالج فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بعض الأمراض النفسية، مثل: الغضب، والهم والغم والحزن، والأرق والفزع والأحلام المزعجة، والوسوسة، والحسد، والصرع. كما اكتملت دراسة الموضوع ببيان طرق الوقاية من الأمراض النفسية في ضوء السنّة النبوية، ووصلت الدراسة إلى إثبات وجه من وجوه الإعجاز النبوي؛ حيث سبق الإسلام لعلاج الأمراض النفسية، مع بيان خصوصية هذه العلاجات النبوية من حيث كونها إلهية موصى بها من رب العالمين، وكذلك قد تم تطبيقها عن قناعة في حياة المسلمين فأعطت أفضل النتائج.

ودراسة بعنوان: "عناية الإسلام بصحة الإنسان"[2]، قام فيها الباحث بجمع الأحاديث الواردة في الصحة من الكتب التسعة، ثم تقسيمها إلى أربعة فصول

---

(١) انظر: الطب النفسي في ضوء السنّة النبوية، للطالب/ رمضان إسحاق الزيان، رسالة ماجستير في الحديث الشريف، غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

(٢) عناية الإسلام بصحة الإنسان، للطالب/ إسماعيل سعيد رضوان، رسالة دكتوراه في تخصص السنّة وعلوم الحديث، غير منشورة، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإنسانية، السودان، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

تحدثت عن: نعمة الصحة وبنائها، والصحة الوقائية، والصحة العلاجية، ثم ختم بالتثقيف الصحي. وأثبتت الدراسة سبق الإسلام في الحفاظ على الصحة، وأن في اتباع السنّة النبوية وقاية من الوقوع في الأمراض.

ثالثًا: منهج الدراسة الموضوعية التي تَعتمِد على جمْع روايات حديثٍ واحد مع دراسة موضوعه وربطه بالواقع المعاصر(١).

يبدأ هذا النوع من الدراسات باختيار حديث شريف يكون أصلاً في دراسة موضوع معين؛ حيث يكون محور هذه الدراسة استقصاء روايات الحديث وطرقه من كافة مصادر السنّة النبوية من جهة، ومن جهة أخرى دراسة الموضوع الذي يتضمنه الحديث من جهة أخرى.

ومن الملاحظ أن هذا النوع من الدراسات أقرب ما يكون من الحديث التحليلي إن اقتصرت فيه الدراسة على تحليل النصوص ونقدها دون دراسة موضوعها وربطه بواقع المسلمين المعاصر؛ لذا على الباحثين في هذا المجال إعطاء الدراسة الموضوعية حقها لموضوع الحديث بجانب الدراسة التحليلية لسند الحديث ومتنه.

وأما عن أهم المراحل المتبعة في منهج البحث في هذه الدراسات، فتتمثل في:

١ .تحديد الحديث محور الدراسة.

٢ .جمع طرق الحديث من شتى مصادر السنّة النبوية.

٣ .دراسة أسانيد الروايات.

٤ .رسم شجرة الإسناد.

٥ .الحكم على الحديث بمجموع طرقه.

---

(١) راجع: الحديث الموضوعي دراسة نظرية، رمضان إسحاق الـزيّان، مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني، ص ٢٢٦- ٢٣٤، باختصار.

٦ .دراسة ألفاظ الحديث مع مقارنتها بين الروايات.

٧ .دراسة موضوع الحديث مع جميع جوانبه عن طريق جمع المادة العلمية غير الحديثية.

٨ .ربط موضوع الحديث بالواقع المعاصر للمسلمين.

٩ .ترتيب المادة العلمية وتنظيمها في تقسيم معين.

١٠.صياغة البحث مع إبراز موضوع الحديث إلى جانب تحليل النص ونقده.

ومن أمثلة هذا المنهج دراسة لحديث الصحابي الجليل أبو هريرة في وقوع الذباب في الشراب جاءت بعنوان: "الإعجاز العلمي في خلق الذباب في ضوء الكتاب والسنّة"[١]، قام فيها الباحث بجمع طرق الحديث ورواياته التي زادت عن خمس وثلاثين طريقاً، جاءت عن ثلاثة صحابة مما وصل بالحديث إلى رتبة المشهور الاصطلاحي الذي يكون في الرتبة قبل المتواتر، وأثبت البحث أن هذا الحديث من قبيل الإعجاز العلمي لاشتماله على حقائق علمية لم تثبت إلا في العصر الحديث مع سبق السنّة النبوية لبيانها.

هذا ولا تتحقق منهجية الحديث الموضوعي لمعالجة القضايا المستجدة إلا بأمور[٢] منها:

١- العلم بالسيرة النبوية وأحوال الصحابة والتابعين؛ فإن هذا العصر هو أزكى مراحل الاتباع النقي لهدايات الوحي ومقاصده .

٢- اختيار موضوع العصر المراد دراسته وتصوره ومحاولة تحديده وعنونته بكل دقة حتي يتضح له عمله منذ البداية ولا تختلط القضايا، ويتجنب

---

(١) انظر: الإعجاز العلمي في خلق الذباب في ضوء الكتاب والسنّة، بحث مقدم لمؤتمر الإعجاز في القرآن الكريم المنعقد بكلية التربية الحكومية بغزة(جامعة الأقصى حالياً) في صفر الخير ١٤٢١هـ ـ مايو ٢٠٠٠م، للباحث/ د. رمضان الزيان.

(٢) ينظر: مباحث في التفسير الموضوعي، د. عبد السالم اللوح، ٥٥ -٥٧. بتصرف.

الأخطاء التي يقع فيها كثير من الباحثين حين يدرجون تحت هذا اللون ما لا يمت له بصلة.

٣- تقسيم الموضوع إلى أبواب وفصول ومباحث ومسائل، مستدلاً على ذلك التقسيم بالوحيين القرآن والسنّة، ومن ثم ربط الموضوع بواقع الحياة ومشكلاتها محاولا تقديم الحلول لها من خلال ما جاء في السنة النبوية من مواقف وصور تتعلق بالموضوع موجهاً له وجهة دعوية تربوية اجتماعية، تتصل بحياة الناس، وتلامس واقعهم .

٤- وقبل كل شيء على الباحث أن يعرف أحوال البشر وأن يتحرى الصدق والصواب، وأن يخلص نيته لله في تبيين الحق للناس من أجل هدايتهم، وأن يعلم خطورة ما يتناوله ويعبر عنه، وينبغي عليه أن يتحلى بالصبر مع توافر الكفاءة العلمية المكتسبة حتى يميز الحق من الباطل ويقبله ويلتزم بالموضوعية دون تحيز لفكرة أو رأي سابق مع التقيد بالمنهج العلمي في التوثيق والاقتباس والإحالات.

دواعي دراسة التفسير الموضوعي وانتشاره وتطوره في العصر الحديث والتي يُمكن إجمالها فيما يأتي:

١- وجود أمور مستجدة جاءت بعد أن لم تكن في العصور الماضية فلا بد من بيان حكم الشرع في هذه القضايا، وهذا لا يكون إلا من خلال البحث في السنة النبوية لاستخلاص الأحكام التي تتعلق بهذه القضايا والمستجدات على اختلاف تنوع[١].

٢- بُعد الناس عن زمن التنزيل وجهلهم بكثير من قضايا الإسلام المتعلقة بشئونهم الخاصة والعامة، وبالتالي هم في حاجة ماسة لمثل هذه

---

(١) انظر: بحث أهمية التفسير الموضوعي، ومنهجيته في معالجة القضايا المستجدة، أ.م.د. أحمد عبد الكريم الشوكة، كلية الآداب/ الجامعة العراقية بتصرف.

الموضوعات النبوية التي تجمع كل ما يتعلق بالموضوع الواحد من أحاديث متفرقة في السنة النبوية، فيتعرفون مثلا على الوسطية والاعتدال في السنة النبوية، وغيرها من الأحكام والموضوعات المتعددة [١].

٣- وجود شبهات وطعونات ضد الإسلام والمسلمين أثارها أعداء الإسلام من مبشرين ومستشرقين، وانطلقوا في شبهاتهم من خلال دراسات ومعاجم وفهارس وضعوها لتعينهم وتسهل عليهم اختلاق الشبهات، فكان لا بد من وجود ردود حاسمة تحمل نفس المنهج الموضوعي لدفع تلك الشبهات وإثبات بطلانها(٢).

٤- الوضع المتردي المؤلم الذي حل بالمسلمين في هذا الزمان؛ حيث ازدادت الهجمة الشرسة على ديار المسلمين ومقدساتهم بسبب ما حل بالمسلمين من ضعف وهوان، مما جرَّأ أعــداء الإسلام على مزيد من التآمر والكيد للإسلام والمسلمين، فاقتضى ذلك التفكير في الخلاص الجاد بالعود إلى دين الله المتمثل في كتاب الله وسنّة نبيه دراسة واهتداء، وهذا يقتضي دراسة السنة النبوية وموضوعاتها لفهم معانيها وأهدافها وغاياتها التي منها عزة الأمة وقوتها وانتصارها ونفض غبار الذل والهوان عن كاهل الأمة، فقد أعز الله الأمة بهذا الدين فلا عزة لها في غيره، بل إن ابتغت العزة في غيره أذلها الله ذلا لا يندفع عنها إلا بالعود إلى دينه [٣].

٥- إن لكل عصر ولكل جيل متطلبات خاصة به تتناسب مع ظروفه وأحواله وتتناسب مع معطيات العصر والتطور العلمي والتكنولوجي والحضاري

---

(١) انظر: بحث أهمية التفسير الموضوعي ومنهجيته في معالجة القضايا المستجدة، أ.م.د. أحمد عبد الكريم الشوكة، كلية الآداب/ الجامعة العراقية بتصرف.

(٢) المرجع السابق نفسه بتصرف.

(٣) ينظر: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، للدكتور صلاح الخالدي، ص٤٧ . بتصرف.

لذلك العصر، فلا بد أن يرتقي البحث في الدراسات الحديثية بما يلائم معطيات العصر ومتطلباته سواء فيما يتعلق بمواكبة التقدم العلمي أو فيما جد في حياة الناس من قضايا[١].

٦- حاجة الناس إلى دراسات متخصصة ومتعمقة في الموضوعات الحديثية، مع وجود علماء قد تخصصوا في الحديث الشريف وعلومه خاصة، كل ذلك دعا وسهل وجود هذا النوع من الحديث [٢] .

* *

(١) انظر: بحث أهمية التفسير الموضوعي ومنهجيته في معالجة القضايا المستجدة بتصرف.

(٢) انظر: بحث أهمية التفسير الموضوعي ومنهجيته في معالجة القضايا المستجدة بتصرف.

الخاتمة

بعد الانتهاء من عرض موضوع البحث، أستطيع أن أستخلص بعض النتائج، وهي تتمثل في النقاط التالية :

١- أن الحديث الموضوعي له أهمية كبيرة في العصر الحاضر للاستعانة به في فهم النصوص الحديثية، والتعرف على كيفية تطبيقها بفقه العصر الحاضر، فهو الأسلوب الموضوعي الأقرب والمقنع في مجابهة مشاكل العصر.

٢- تتجلى أهمية الحديث الموضوعي وتظهر أهدافة في عصرنا أكثر مما تجلت في غيره؛ ذلك أننا نعيش اليوم عصر القضايا المتلاحقة وإفرازات النشاط البشري، الذي أفلست فيه الحضارات المادية في حلّ مشكلات البشر وسد الفراغ الذي تعيشه معظم المجتمعات البشرية، باعتباره يُعالج ما جدَّ وما يجد من قضايا وأحداث تُعرض للناس، ولم تكن موجودة من قبل، فضلا عن كونه يمثل خط الدفاع الأول للشبهات والطعونات التي يُثيرها أعداء الإسلام ضد السنة النبوية من خلال وحـــدة موضـــوعه.

٣- الحديث الموضوعي يستخدم كافة فروع علوم السنّة النبوية من أجل الوصول إلى أهدافه البحثية سواء مجموعة العلوم الخاصة بالسند أو المتن.

٤- أن الدراسة الموضوعية تحقق مطلباً عظيماً، ألا وهو تكامل فقه الحديث، الذي هو الثمرة من دراسته، فالعبادات الشرعية كالطهارة والصلاة وغيرها، يجب أن نتعلمها بأركانها وواجباتها وأحكامها وشرائطها، حتى نقيمها على أكمل وجه.

٥- يعد الحديث الموضوعي في أهم أغراضه حديثاً دعوياً، تربوياً، اجتماعياً عصرياً، يهدف إلى بيان الحقائق النبوية في موضوعات معينة وتنزيل ذلك كله على واقع الناس ومنهج الحياة.

٥- لدراسة الحديث الموضوعي ثلاثة مناهج: الأول منها يقوم باستقصاء كل ما ورد في كتب السنّة النبوية عن موضوع الدراسة، والثاني يعتمد على جمع أحاديث تفي بغرض البحث في موضوع الدراسة من مصادر محددة من كتب السنّة النبوية، والثالث يعتمد على دراسة موضوع من خلال جمع روايات حديث شريف واحد.

٦- إن هناك فرقًا بين الحديث الموضوعي وبين الحديث التحليلي، وهو أن الحديث التحليلي ينطلق من الحديث الواحد لتحليله من جميع جوانبه اللغوية والاستنباطية وغيرهما، غير مرتبط بموضوع معين، أما الحديث الموضوعي فهو ينظر إلى الموضوع الواحد ومجموع الأحاديث الدالة عليه دون تحليل كل حديث فيما يدل عليه من مسائل.

٧- ينبغي للباحث عند دراسته للموضوعات أن يعطي الأولوية للموضوعات التي تلبي حاجة العصر، مثل: الإرهاب والعنف، وأفكار الغلو والتطرف، وقطع السبيل علي الآمنين، والاعتداء على حرماتهم، والقتل بغير حق، بحيث يتحول وجدانه المعاصر إلى نظريات وتصورات قادرة على التخلص من أزمات العصر.

هذا، وقد أخرجت بحثي في هذه الصورة، فإن كنت قد وفقت فبفضل من الله ونعمة وما توفيقي إلا بالله، وإن كان غير ذلك فلنفسي أنسب التقصير، قال تعالي: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١).

وصلى الله وسلم وبارك علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٢٧- ١٢٨.

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم.
٢- الأنساب للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني- المتوفي سنة (٥٦٢هـ) - ط دار الفكر- بيروت- لبنان ١٤١٩- ١٩٩٨.
٣- الحديث الموضوعي للدكتور رمضان الزيان مجلة الجامعة الإسلامية - غزة- فلسطين- المجلد العاشر، العدد الثاني لسنة ٢٠٠٢.
٤- كشاف المبين منهاج المحدثين، د.أحمد يوسف أبو حلبية، دار البشير للطباعة والنشر والتوزيع، غزة، ١٩٩٦م.
٥- السنة قبل التدوين، د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر العربي، بيروت، ط٥ ،١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٦- مسند الإمام أحمد، طبعة إحياء التراث.
٧- قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث ، للقاسمي ، طبعة البابي الحلبي، ١٣٨٠ هـ، وتوجيه النظر إلى علوم الأثر، لطاهر الجزائري، الطبعة المصرية، ١٣٢٨هـ.
٨- نزهة النظر في توضيح نُخْبة الفِكَر في مصطلَح أهل الأثر؛ للحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) ، تحقيق وتعليق: د. عبد الله ابن ضيف الله الرحيلي، ط١: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٩- المدخل في التفسير الموضوعي، د. عبد الستار فتح الله سعيد.
١٠-مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، الإمام أبي عمرو الشهروزي المعروف بابن الصلاح، مكتبة المتنبي، القاهرة، بدون تاريخ.
١١-تدريب الراوي شرح تقريب النواوي، للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، مصر، ط٢، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م ، ج١ .

١٢-محاضَرات في الحديث الموضوعي، للشيخ أ.د. السيد نوح.
١٣-إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم .
١٤-تفسير القرآن العظيم- للإمام الجليل الحافظ: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء- دار الفكر- بيروت- سنة النشر: ١٤٠١- عدد الأجزاء: ٤.
١٥-"معجم الكليات" لأبي البقاء الكفوي.
١٦- أساس البلاغة، الزمخشري، ومختار الصحاح، الرازي.
١٧-الحديث الموضوعى منهج جديد فى شرح الأحاديث النبوية الشريفة، للدكتورة سعاد بيطاط، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – الجزائر، العدد ٢٩، ٢٠١١.
١٨-صفحات في معرفة الحديث الموضوعي، علي محمد زينو، شبكة الإنترنت الدولية.
١٩-كتاب الحديث الموضوعي، منهج يدرس لمرحلة الماجستير في جامعة المدينة العالمية، المؤلف مناهج جامعة المدينة العالمية.
٢٠-بحث أهمية التفسير الموضوعي ومنهجيته في معالجة القضايا المستجدة أ.م.د. أحمد عبد الكريم الشوكة كلية الآداب/ الجامعة العراقية .
٢١-أخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي.
٢٢-الجامع الصحيح للإمام الحافظ شيخ الإسلام جبل الحفظ وإمام الدنيا: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة- بيروت – سنة النشر: ١٤٠٧ – ١٩٨٧- ط: الثالثة- عدد الأجزاء: ٦، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.
٢٣-فتح الباري بشرح صحيح البخاري"، للحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، طبعة مُصحَّحة على عدة نُسخ، وعن النسخة التي حقَّق أصولها وأجازها: الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

٢٤-الطب النفسي في ضوء السنّة النبوية، للطالب/ رمضان إسحاق الزيان، رسالة ماجستير في الحديث الشريف، غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
٢٥-عناية الإسلام بصحة الإنسان، للطالب/ إسماعيل سعيد رضوان، رسالة دكتوراه في تخصص السنّة وعلوم الحديث، غير منشورة، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإنسانية، السودان، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
٢٦-الإعجاز العلمي في خلق الذباب في ضوء الكتاب والسنّة، بحث مقدم لمؤتمر الإعجاز في القرآن الكريم المنعقد بكلية التربية الحكومية بغزة (جامعة الأقصى حالياً) في صفر الخير ١٤٢١هـ ـ مايو ٢٠٠٠م، للباحث/ د. رمضان الزيان.
٢٧-مباحث في التفسير الموضوعي، د. عبد السالم اللوح.
٢٨-التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق للدكتور صلاح الخالدي.
٢٩-صحيح مسلم- للإمام: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري- ٢٠٦- ٢٦١- دار إحياء التراث العربي- بيروت- عدد الأجزاء: ٥، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
٣٠-الفتح الرباني، تأليف: أحمد بن عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي، طبعة دار الشهاب القاهرة، الطبعة الأولي.
٣١-لسان العرب: لابن منظور، طبعة جديدة محققه ومشكولة، ط: دار المعارف.
٣٢-معجم البلدان- للشيخ الإمام: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله- (ت: ٦٢٦)- دار الفكر- بيروت- عدد الأجزاء: ٥.

* * *